

قصة

تشرين بلا إنذار

رزان فواز الكسواني

تشرين بلا إنداز

قصة قصيرة

تشرين بلا إنداز

مرزان فوانر الكسواني

2024



تشرين بلا إنذار

في إحدى الليالي الهادئة كان هناك مجموعة من الأطفال جالسين على شكل حلقة يلعبون ويمرحون معا.

قال أحدهم: يا أولاد بعد أسبوعٍ من اليوم سيبدأ الدوام الدراسي، هل أنتم مستعدون للذهاب إلى المدرسة؟

أجاب كل واحد منهم بحماسةٍ وشغفٍ عن مدى استعدادهم واستقبالهم للعلم، فذاك يتحدث عن شعوره بالفرح والآخر يجبرهم عن الأدوات والمعدات المدرسية التي اشتراها في صباح هذا اليوم مع والديه.

فالحلقة الدائرية الصغيرة كانت مليئةً بشرارات الحماسة والسعادة.

:وقف أحدهم في وسط الدائرة وقال



تشرين بلا إنذار

يا أولاد اهدؤا قليلا سأسأل سُؤالا ، فبدأ صوتهم ينخفضُ إلى أن عمّ الهدوء فسألهم : ما هو حلمكم ؟

أجاب الأول : أحلم أن أصبح طيارا ماهرا ؛ لأرى جمال السماءِ وغيومها صباحا وبيقتها ليلا .

أما عن الثاني فقال : وأنا أحلم بالهندسة المعمارية ؛ لأن أُمي تريدُ منزلا مصمما بشكل جميل . فأريدُ أن أحققَ لها حلمها .

وأجاب الثالثُ : أنا أحبُّ مهنةَ الطبِّ سأسعى جاهدا لأحصل عليها ؛ لكي أساعدَ الناسَ وأداويهم .

وردَ الآخر : أنا سأصبحُ معلما ؛ لأنني أحبُّ الأطفالَ ولتبقى الطفولةُ حيةً أمامَ عيني .

فسألَ أحدهم : كيف ذلك ؟



تشرين بلا إنداز

أجابته: أريد أن أرى ضحكة الأطفال وحركاتهم وأشهد لعبهم وبهجة قلوبهم لتبقى طفولتي حية في ذاكرتي، فعندما أشاهدهم سأسترجع ذكريات الطفولة فهي من أجمل مراحل الإنسان بالرغم من أنني لم أتجاوزها ولم أعرف ما هو شعور المراحل الأخرى من حياة الإنسان.

:وهم يتحاورون جاء رجل كبير العمر نحوهم وقال لهم:
ماذا تفعلون هنا يا أولاد الساعة الآن التاسعة مساءً، هيا اذهبوا إلى منازلكم فالوقت تأخر
!كثيرا وأنتم مستمرون باللهو واللعب
فوقفوا جميعا استعدادا للذهاب، وعاد كل واحد منهم إلى منزله

وبعد مرور أسبوع بدأ الدوام الدراسي وفي صباح اليوم الأول من الدوام، استيقظ الأطفال
بكامل طاقتهم.



تشرين بلا إنذار

كان يوجد مكان خاص بهم يتجمعون فيه ليذهبوا معا إلى المدرسة . بعد إنتهاء أول يوم دراسي عادوا لمنازلهم والسعادة تملئ قلوبهم باللقاءهم مع أصدقائهم وأساتذتهم، وبدأوا يقصّوا حكاية يومهم لأبائهم

كانت حياتهم كالكتاب الذي يحمل بين دفتيه عبارات السعادة والأمل . حياتهم سعيدة، جميلة، مليئة بالبهجة إلى أن جاء تشرين حاملا معه فاجعة عظيمة مأساوية كأنها رسالة الوداع الأخيرة . اشتعلت شرارة الموت في مكان عيشهم، موت للأحلام، موت للبهجة، موت للقلوب البريئة إلى أن أصبحت الشرارة نارا لا تهدأ

من غير سابق إنذار علا صوت الدمار، والأطفال والنساء والرجال جميعهم يترقبون إنهماد النار . إنه القصف الإسرائيلي في قلب غزة يوقد جمار الجحود والغرور ويلقي بها على أرواح بريئة من غير رحمة . وهنا بدأت الحرب بين الجنة والنار فالمباني تحولت إلى قنات وركام والضحكة إلى بكاء



تشرين بلا إنداز

في وسط هذا الدمار الذي حل بأهله صدر صوت مرتجف وإذ بطفلة صغيرة لا يتجاوز عمرها سنتين تهتف قائلة: "ماما" "ماما" لكنها مدفونة تحت الركام. فجاء والدها قائلاً: بنيتي لا تخافي لا تخافي سأنقذك . كان شعور الخوف والرعب واضح في صوته المرتجف . عندما أنقذوها كانت ملطخة بالدم وتبكي وتقول: "ماما" بكامل الصعوبة، لكن أمها أغمضت عينيها إلى الأبد.

واستمرت الحرب في قطاع غزة وكل يوم يمرّ لا يخلو من صوت الرصاص والقصف الإسرائيلي وموت الأرواح.

ماذا عن الأولاد الأربعة وحلمهم ؟

منذ فترة قصيرة كانوا يتكلمون عن أحلامهم، السعادة تغمرهم بعودتهم إلى المدرسة وشعور الحماسة والفرح يتغلغل بداخلهم ولمعة الحب والبهجة واضحة في أعينهم.

أما الآن نظرات الذعر والرعب لا تفارقهم



تشرين بلا إنداز

كان يجلس طفل على الأريكة المثقوبة من جميع النواحي بسبب رصاص العدو وينظر إلى لون المدينة، أصبح لونها أسود يغمرها ظلام الظلال والاعتداء . فأخذ يبكي ويتكلم موجهها

:كلامه إلى بلده قائلاً

يا غزوة يا أرض امتلأت بالدماء والشهداء، ماذا حل بك؟ ! ألم لم يهدأ وقلوب لم تدفأ، أحلام "تطعن وأرواح تدفن"

جاء شخص من ورائه ووضع يده على كتفه، فانتاب الطفل شعور الخوف لبت جالساً لم يتحرك أبداً ولم ير من هو الشخص، خاف أن تكون أنفاسه الأخيرة في هذه اللحظة

فمشى هذا الشخص من ورائه إلى أن وقف أمامه، فكان صديقه الذي نزعته منه روح

الطفولة، وعيناه مملوءتان بالدمع، فسرعان ما راود الطفل شعور الإطمئنان عندما رآه . نظرا

إلى بعضهما نظرة حسرة وذعر

:فجلس صديقه بجانبه وبدأ يتحاور معه قائلاً



تشرين بلا إنداز

أتعلم يا صديقي أن أصدقائنا الآخرين أصبحوا في ذمة الله شهداء ؟

أجابه بصوت مرتجف وهو يبكي، نعم أعلم ذلك . فواحد منهم كان يحلم أن يصبح طيارا ليرى السماء وهو الآن حلق إليها ولم يعد ، كطير أبيض تحرر من قفصه . والآخر كان حلمه أن يصبح طبيبا ليداوي الناس، فلورأى أشلاء الناس المملوطة بالدماء لانهار أمام حلمه معتذرا له بالفشل .

أجابه صديقه بسؤال، وماذا عن حلمنا ؟

أجابه: أنا كنت أحلم بالهندسة من أجل أمي، لكن أين هي الآن ؟ هي أيضا ذهبت ولم تعد

رد عليه صديقه: وأنا أيضا لا أريد أن يتحقق حلمي حتى لا أتذكر طفولتي

أنظر إلى طفولتنا، هل هذه طفولة ؟ لقد سلبوها منا وسلبوا معها أحلامنا



تشرین بلا اذار

فالتزما الصمت وكانهم أدركوا حقا ما حلّ بهم من دمار وخراب واعتداء على حقوقهم . وطفولتهم .

:قال واحد منهم للآخر بعد الصمت المزعج الذي دام بضع دقائق

حلمنا مات وسيدفن قريبا مع أجسادنا الصغيرة وأرواحنا البريئة . قال ذلك وهو يرمي آخر حجر بيده بالهواء .

ثم نظر إلى صديقه وسأله هل هذه حقا رسالة الوداع الأخيرة لحلمنا وعلمنا وابتسامتنا ؟



تشریح بلا انذار

مُتَّ

التصميم والتنسيق: الكاتبة نور عليان

